

من يعيد إلى مسيحيي العراق منازلهم في غياب القانون

فصائل مسلحة وأخرى ذات نفوذ تستولي على عقارات دون وجه حق

البابا يزور الموصل في سيارة مكشوفة على آثار الحرب

كرامش (العراق) - في كرامش وقراوش والموصل بشمال العراق، كنائس مدمرة، ونفايات تجتاح الأزقة الضيقة، وأثار الحرب لا تزال ظاهرة بوضوح.. رغم ذلك، يؤكد رئيس أساقفة الكلدان في أبرشية الموصل وعرة نجيب ميخائيل أن التحضيرات جارية لزيارة البابا التاريخية، وأن استقباله سيجري في "أجواء من الفرح".

ورغم مرور ثلاث سنوات على طرد تنظيم الدولة الإسلامية من المنطقة، يحتفظ رئيس أساقفة الموصل بأثار من الجرائم الوحشية التي ارتكبتها الجهاديون في كرامش من بينها صليب مكسور عند برج أعلى كنيسة أوواني قداس وأيقونة متضررة... أدلة من أجل "تجاوز الماضي"، كما يقول ميخائيل، عبر "التسامح لكن من دون نسيان" تلك الجرائم.

ويشير إلى أنه طالما خاطر بحياته وقد تمكن من تهريب الكثير من الوثائق القديمة إلى إقليم كردستان، لإنقاذها من التنظيم المتطرف الذي احتل المنطقة بين 2014 و2017، وحكمها بالرعب، مستهدفا خصوصا الأقليات.

وتقع كرامش شرق مدينة الموصل، مركز محافظة نينوى. وكانت الموصل على مدى قرون مركزا تجاريا وثقافيا رئيسيا في الشرق الأوسط، وتحضن نينوى الكثير من الكنائس والوجود المسيحي.

في كل المدن التي سيزورها البابا، يستعد المسيحيون بجوقات التراتيل وفرق الكشافة لاستقباله والاقتراب منه

ويؤكد ميخائيل أن زيارة البابا التي من المقرر أن تستمر ثلاثة أيام "همة جدا لجميع العراقيين"، مشيرا إلى أن "هذا البلد كسيفساء رائعة متعددة الألوان ومتكاملة، لهذا لا يمكن أن يجزأ إلى أجزاء طائفية للأسف (كما يحدث اليوم)".

ويؤمن رئيس أساقفة الموصل بأن البابا فرنسيس قادر على إعادة نسج هذه الروابط، خصوصا في شمال البلاد حيث تتواجد العشائر من الأقليات، عبر "كلمات قوية" تعبر عن "مباركته" و"دعوه المعنوي"، مؤكدا أن ذلك ممكن لأن هناك "تغيرا في العقلية" داخل المجتمع، لكن لا تزال الخلافات بين المجموعات الدينية والعرقية قائمة.

ومن المقرر أن يزور البابا مدينة أور الأثرية حيث ولد النبي إبراهيم، في جنوب العراق، ليؤدي صلاة مشتركة إلى جانب مسلمين وكذلك مع معتققي الإيزيدية والصابئة، الديانتين اللتين ظهرتتا في العراق قبل المسيحية..

لكن "الأمر الأهم"، بالنسبة إلى رئيس أساقفة الموصل، هو "زرع الفرح في قلوب كل الناس، لأن هذه الزيارة روحية بالأساس".

في بلد لا تزال فيه خلايا جهادية مجهول مكانها، يرى ميخائيل الذي يحمل شهادة هندسة في التقني عن النطق قبل أن يقرر اعتناق الكهنوت، أن "كل مسؤول أممي سيكون بحالة توتر" خلال زيارة البابا.

أما هو، فستكون هذه المرة الثانية التي يلتقي فيها بالبابا فرنسيس، إذ سبق له أن التقاه في روما.

في كل المدن التي سيزورها البابا، يقوم جوقات التراتيل وفرق الكشافة بتدريبات منذ أسابيع، ويتنظر الجميع لقاء خليفة القديس بطرس والاقتراب منه في كنائسهم.

وتتولى عدد من الكهنة ترجمة الصلوات إلى لغات عديدة، لأن البابا سيحتفل في العراق بأول قداس له بحسب الطقوس الشرقية.

ويشكّل لجان حكومية وأخرى في محافظات مختلفة لمتابعة الاستعدادات اللوجيستية ومراسم الزيارة.

ويرى ميخائيل (65 عاما) أن المهمة التي يقوم بها مع محيطه حساسة جدا خصوصا وأن أي مسؤول أجنبي حكومي لم يزر الموصل منذ أكثر من خمس سنوات.

ويقول رجل الدين، "نواجه ضغطا هائلا... الأب الأقدس ليس كأي شخصية، إنه يمثل دولة الفاتيكان وكاثوليك العالم".

وسيستقبل البابا (85 عاما) بسيارة مكشوفة في بلد لم يستقر فيه الأمن منذ سنوات.

ويصف ميخائيل التحضيرات بـ"المهمة صعبة، السكل سيحاول

ويقول رئيس منظمة حمورابي المستقلة للدفاع عن الأقليات وليم وردة، "لا يوجد قانون ولا مؤسسة تضمن التنوع والمواطنة للجميع. وطالما الوضع على هذه الحال، سيبقى المسيحيون في العراق تحت رحمة الحاكم".



الدواعش باعوا منازل ليست لهم

مقدرا أن نسبة النجاح في استرجاع الأملاك لم تتجاوز "نسبة 20 في المئة".

يقول رئيس لجنة إخلاء الدور المغتصبة اللواء مظهر المولى، إنه "يجب تقديم شكوى رسمية لطلب استعادة أي منزل"، مشيرا إلى أن الشكوى يجب أن ترفق بـ"وثائق الملكية وأخرى للزواج العائلية عن منطقتها، لإثبات تزوير الوثائق وإجبار واضعي اليد على ترك أي منزل".

لكن أفة الفساد المستشري في العراق الذي يعد من بين أكثر دول العالم فسادا، دفعت الكثير من المسيحيين والمسلمين إلى اليأس من جدوى الشكاوى، خصوصا ضد أطراف نافذة ومسلحة.

ويقول وليم وردة الذي يتابع باستمرار مثل هذه القضايا، إن "عائلات مسيحية كثيرة حصلت على قرارات قضائية لصالحها، لكن بقيت دون تنفيذ من قبل قوات الأمن".

وأعلن رجل الدين الشيعي البارز مقتدى الصدر، زعيم التيار الذي قاتل القوات الأمريكية والأقليات، لسنوات بعد غزو العراق عام 2003، أخيرا، عن تشكيل لجنة لحماية المسيحيين وإعادة منازلهم. وقال تعليقا على الزيارة المرتقبة للبابا فرنسيس إلى العراق في مارس المقبل، "الانفتاح على الأديان أمر مستحسن وزيارته للعراق مرحب بها وقلوبنا قبل

أبوابنا مفتوحة له".

لكن مسيحيين ومسؤولين استقبلوا إعلان تشكيل اللجنة بتشكيله، مشيرين إلى أن قسما كبيرا من واضعي اليد على المنازل هم من التيار الصدري. ويقول مسيحي رفض الكشف عن اسمه، "ليس عليه إلا أن يامر رجاله بالخروج من منازلنا بدل الإذلاء بمثل هذه التصريحات (...). الوصولة مع زيارة البابا".

ويقول رئيس منظمة حمورابي المستقلة للدفاع عن الأقليات وليم وردة، "لا يوجد قانون ولا مؤسسة تضمن التنوع والمواطنة للجميع. وطالما الوضع على هذه الحال، سيبقى المسيحيون في العراق تحت رحمة الحاكم".

"يلجأ إخواننا المسلمون إلى العشائر والأحزاب السياسية للدفاع عنهم، لكن نحن ليس عندنا" دعم كهذا.

في البرلمان المؤلف من 329 عضوا، هناك خمسة نواب مسيحيون فقط، لكن يصوت هؤلاء إجمالا دفاعا عن مصالح كتلتهم وأحزابهم أكثر من مصالح طائفتهم.

وشكّلت الحكومة عام 2008، تزامنا مع تراجع موجة العنف الطائفي، لجنة مكلفة باسترداد المنازل والعقارات المنتزعة وإعادتها إلى أصحابها.

المستطعت اللجنة المؤلفة من أربعة أعضاء في بغداد حيث يسكن عشرة ملايين نسمة، إعادة أكثر من 26500 منزل إلى أصحابها القانونيين. لكنها كانت كلها تقريبا ملكا لمواطنين من الشيعة أو السنة.

أما بالنسبة إلى المسيحيين الذين يترددون في التوجه إلى القضاء أو لم يعودوا موجودين في البلد، فقد تمت استعادة خمسين منزلا فقط.

في محافظة نينوى (شمال) مثلا، كانت الأقليات الدينية العراقية ومن بينها المسيحيون، هدفا لتنظيم الدولة الإسلامية بعد سيطرته عام 2014 على ثلث مساحة البلاد، فباع بيوت المسيحيين في مزارات علنية لدعم خزينة التنظيم.

بعد ذلك، خسر المسيحيون مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية التي سيطرت عليها مجموعات مسلحة برزت خلال مشاركتها في المعارك لطرد الجهاديين من المنطقة.

ودفع هذا الأمر واشنطن إلى معاقبة بعض قادة الفصائل المسلحة، لاستيلائهم على أراض وقرى بكاملها.

وعن عدد منازل المسيحيين المصادرة، يقول الفريد، "هذا الأمر حدث وبكثرة، لا يوجد عدد دقيق"، مشيرا إلى قيام الكثيرين بكسر الأبواب واقتحام البيوت أو تزوير وثائق تدعي ملكية منازل أو عقارات للاستيلاء عليها".

ويضيف الكاهن الذي التقى مرارا بعائلات سلبت منازلها، بأسف، "لجانا إلى القانون ولم نترك لا رئيس الجمهورية ولا رئيس الوزراء ولا رئيس البرلمان، وشكّلت لجان،

غادر بعض المسيحيين العراقيين خلال الاجتياح الأميركي وأخرون خلال الحروب الطائفية التي احتل خلالها جهاديون قراهم وغيرهم بسبب الأزمة المعيشية الحالية، وخسر كثير منهم منازلهم وعقاراتهم رغم الشكاوى التي تقدموا بها للقضاء مع الأدلة والوثائق التي تثبت ملكيتهم.

لقد فقدت عائلات مسيحية كثيرة منازل وعقارات أصبح استرجاعها اليوم ضربا من الخيال بسبب البيروقراطية والفساد، وفق ما قال مسؤولون ورجال دين.

ويكشف رئيس منظمة حمورابي المستقلة للدفاع عن الأقليات، وليم وردة، أنه تقدم بشكاوى في عشر قضايا مماثلة إلى القضاء.

أفة الفساد في العراق دفعت الكثير من المسيحيين إلى اليأس من جدوى الشكاوى لاسترداد ممتلكاتهم من المتنفذين

وتتكرر القصة نفسها في كل مرة، إذ يواجه أصحاب المنازل أو أقارب يسكنونها لحراسته بعدما هاجر مالكوها، تهديدات غالبا ما تكون بالسلاح، أجبرتهم على ترك المنازل.

ويتهم أصحاب المنازل المصادرة، ومن بينهم مسيحيون ومسلمون من ضحايا الصراع الطائفي، فصائل شيعية مسلحة، غالبيتها موالية لإيران، بالقيام بذلك. وتتمتع هذه المجموعات اليوم بنفوذ واسع ولديها ممثلون داخل البرلمان ووزراء في الحكومة.

في مواجهتها، يشعر المسيحيون أن لا حل أمامهم إلا الاستسلام. يقول الأيكونوموس يونان الفريد، الوكيل العام للروم الأرثوذكس في العراق،



يعرف الجيران أنني صاحب البيت



التسامح مبدأ لاستمرار الحياة